الزواج في المجتمع الجزائري بين الحتمية الاجتماعية والاختيار الاستراتيجي

Marriage in Algerian society between social inevitability and strategic choice

فطيمة الأسود[1*]، محمد المهدي بن عيسى[2]

[1] جامعة قاصدي مرباح –ورقلة (الجزائر)، lassoued.fatima@univ-ouargla.dz

[2] جامعة قاصدي مرباح –ورقلة (الجزائر) ، elhadibenassa@yahoo.fr

مخبر تحول التشكلات الاجتماعية وأثره على الهوية والفعل الاجتماعي للمجتمعات في طريق النمو

تاريخ الاستقبال: 2021/09/29؛ **تاريخ القبول**: 2022/01/16؛ **تاريخ النشر**: 2022/04/16

ملخص: من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بانجازها خلال السنوات الجارية، والمعنونة بـ: (الحراك الاجتماعي وتمثلات الزواج في الجزائر). تبين لنا أن الزواج في المجتمع الجزائري قد شهد ديناميكية بارزة ارتبطت بالتغيرات والتحولات التي شهدتها العائلة الجزائرية مؤخرا، مما أدى إلى التغير في منظومة القيم وتمثلات الزواج للأفراد، من خلال الصراع القائم بين الحتمية الاجتماعية لإعادة الإنتاج البيولوجي للعائلة والخيار الفرداني الاستراتيجي المتمثل في إنتاج مشروع أسري، مرتبط في الأغلب بتمثلات فردية تحمل قيم خاصة متوافقة مع متطلبات الوضع الاجتماعي للأفراد، ومغايرة لتمثلات مجالهم الاجتماعي الأصلي (العائلة). وهذا ما سنوضحه في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: تمثلات الزواج، الحتمية الاجتماعية، الاختيار الاستراتيجي.

Abstract: Through the field study that we have completed during the current years, entitled: (Social Mobility and Representations of Marriage in Algeria). We found that marriage in the Algerian society has witnessed a prominent dynamism associated with the changes and transformations recently witnessed by the Algerian family. This fact led to a change in the system of values and representations of marriage for individuals, through the conflict between the social imperative of biological reproduction of the family and the individual strategic choice represented in the production of a family project. Indeed, this project is associated with individual representations bearing special values compatible with the requirements of the social status of individuals, and different from the representations of their original social field (the family). This is what we will explain in this article.

Keywords: Representations of marriage, social determinism, strategic choice.

* المؤلف المرسل .

I- مدخل إشكالي:

يعد الزواج القاعدة الركيزة للإنتاج الاجتماعي، فهو الخطوة الأولى لبناء أي أسرة والحفاظ على نسلها، حيث تظهر فيه أكبر نماذج التفاعلات والأفعال الفردية والاجتماعية بشتى معانيها.

ولقد اهتم علماء النفس والأنثروبولوجيا وعلماء الاجتماع –خاصة– منذ زمن، بدراسة وتحليل ظاهرة الزواج من جوانب عدة لاعتبارها من أقدم المؤسسات والنظم الاجتماعية التي تقوم عليها الأسرة.

إلا أنهم لم يتمكنوا من رصد الوقائع الاجتماعية لها بشكل شامل، وهذا نظرا لاختلاف ممارسات الزواج من مرحلة زمنية إلى أخرى، بسبب التحولات والتغيرات السوسيو–ثقافية التي تمس من وقت لآخر وبشكل مباشر أو غير مباشر جميع المجتمعات البشرية. فهو كما أشار إليه (Emil Durkheim) بأنه يخضع في أشكاله وبنيانه للتغيرات الاجتماعية، ويختلف نظامه من مرحلة زمنية إلى أخرى. وهذا لما يحمله من استراتيجيات وتمثلات مشَكَلَة لكلا الطرفين. عكس ما كان في السابق. حيث أن الأسر قد لعبت دورا حاسما في مشاريع زواج أبنائها، كما وصفها (Pierre Bourdieu) "... عندما كانت هذه النقابات تتعلق بمصالح الأسرة ورأس المال". (Bourdieu,1980,p: 18)

والمجتمع الجزائري هو الآخر على غرار باقي المجتمعات،لم يخرج من هذه الممارسات، حيث كان لهذه التغيرات والتحولات أثر فعَّال على بنائه الاجتماعي الكلي، بما في ذلك مؤسسة الزواج والعلاقات وتأثيرها على هوية الفرد وأفعاله الفردية والاجتماعية.

ولقد أشارت العديد من الدراسات الجزائرية المهتمة بسوسيولوجية العائلة والزواج، إلى أن الزواج في المجتمع الجزائري لم يعد خاضعا لحتميات اجتماعية تقليدية، باعتباره المؤسسة التي يعاد إنتاجها ضمن المجال الاجتماعي الأصلي لهم، من خلال إعادة إنتاج العائلة عن طريق الارتباط وإنجاب الأطفال. بل صار في الأغلب خاضعا لحتميات تاريخية على حد قول عالم الاجتماع (Alain Touraine)، ومرتبطا بالتحولات والتغيرات الجارية، والتي أدت إلى توجيه وتغيير تمثلات الأفراد لعدة ممارسات ووقائع اجتماعية. كتمثلاتهم للزواج ومشروعهم الأسري مستقبلا ذو النموذج الثقافي الخاص والملائم لمتطلبات ديناميكية أوضاعهم الاجتماعية تبعا لاختياراتهم الإستراتيجية والعقلانية.

وعليه. ومن خلال هذا المقال، سوف نتطرق إلى أهم التغيرات والتحولات التي طرأت على مؤسسة الزواج في المجتمع الجزائري، من خلال التساؤل التالي:

– **هل الزواج في المجتمع الجزائري لا يزال خاضعا للحتمية الاجتماعية للمجال الاجتماعي الأصلي، أم أنه أصبح مشروع زواجي أسري قائم على الاختيار الاستراتيجي الفرداني؟ وما هي أهم التغيرات والتحولات السوسيو–ثقافية التي طرأت عليه؟.**

1- الزواج في التراث السوسيولوجي:

اهتم الكثير من السوسيولوجيين بدراسة ظاهرة الزواج وتحليلها وتتبع ديناميكياته الاجتماعية عبر الزمن. حيث تعتبر دراساتهم وأبحاثهم هذه كقاعدة وتراث سوسيولوجي مهم لبناء موضوع الزواج سوسيولوجيا. على غرار

(Emil Durkheim, Auguste Comte, Karl Marx, Frederick Engels, Pierre Bourdieu, Jean- Claude Kaufman, Anthony Giddens, Etc…)

فلقد أشار (Emil Durkheim -إميل دوركايم) إلى البعد الاجتماعي لظاهرة الزواج في مقابلة له حول الزواج والطلاق، بعنوان: "Débat sur le mariage et le divorce" وأكد على أن الزواج هو أساس الأسرة. وأن عمل الأسرة يمتد إلى ما هو أبعد من تربية الأطفال، وأن دورها الأساسي الأخلاقي يكمن في مختلف الوظائف البيئية المنزلية المختلفة، الاجتماعية والاقتصادية والدينية وحتى القضائية. كما أنه (دوركايم) أشار كذلك إلى أنه مع مرور الوقت بدأت الأسرة تتخلى عن دورها شيئا فشيئا وأسندته لمؤسسات التنشئة الاجتماعية الخارجية. (Durkheim, 1909, p :258)

ولقد اعتبر (Durkheim) الزواج بأنه عقد يتجاوز ضمائر وادراكات الأفراد. وأن المجتمع والضمير الجمعي هو من يقره ويجبر الأفراد عليه، كما أنه يمكن للدولة أيضا حق تدخل في الزواج، باعتبارها صاحبة الضبط والسلطة في الحياة العائلية. فالزواج حسب (Durkheim) هو وسيلة للانضباط والمحافظة على التوازن الاجتماعي، كما أنه يقوي الرابط الاجتماعي ويقلل من نسب الانتحار من خلال المحافظة على المعايير الاجتماعية للعائلة خاصة، والضمير الجمعي عامة. (Durkheim, 1909, p :08) وفي حديث آخر له عن ظاهرة الزواج، في مقاله المعنون بـ "La famille conjugale" أشار إلى نوع آخر من الأسر الزواجية، والتي يكون أساسها الزواج كقاعدة رئيسية، يتم عقده من طرف قاضي الدولة بطابع قانوني ورسمي. (Durkheim, 1892, p :35) فالزواج من هذا النوع يؤسس الأسرة وفي نفس الوقت ينشأ منها. لذا فإن أي اتحاد جنسي لا ينكمش في شكل زواج يخل بالواجب والروابط الأسرية.

أما (August Comte- أوجست كونت)، يرى أن الزواج هو نتيجة تفاعلية وأداة ضبط بين الدوافع البيولوجية لغرائز الفرد الطبيعية والدوافع الاجتماعية المتمثلة في الميل للجماعة، فالزواج حسبه يعمل على المحافظة وتبيان الممنوع والمسموح في العلاقة بين الطرفين مهما تباينت المجتمعات التي ينتشر فيها نظام الزواج. ولقد أشار (Comte) كذلك إلى ضرورة موائمة الزواج للتغيرات الاجتماعية في أشكاله وبنياته ومن ثم مظاهر التقدم. كما أنه على المجتمع تقوية دعائم الأسرة وضمان سلامة أوضاعها واتجاهاتها. (الخشاب، 1996، ص: 32).

في حين يرى كل من (Frederick Engels "فردريك أنجلز"، و Karl Marx "كارل ماركس") أن الزواج مر بثلاث مراحل عرفتها البشرية، وهي: الزواج الجماعي والزواج الثنائي والزواج الأحادي. ويكمن هذا الأخير –الزواج الأحادي- في أن الزواج مرتبط بالاستغلال الطبقي والجنسي الذي تباركه الطبقات البورجوازية للدولة والتي هي في خدمة مصالح الطبقات المالكة للرأسمالية على حساب طبقة البروليتاريا التي لا تملك أي وسائل إنتاج، وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري. كما أن (Engels) أشار في كتابه المعنون بـ: " أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة" أن الزواج لم يظهر في التاريخ باعتباره توافقا بين الرجل والمرأة بأي حال، وعلى العكس فقد ظهر الزواج باعتباره خضوعا من جنس لجنس آخر، فلم يكن التنازع بين الجنسين قد أعلن إلى اللحظة التاريخية التي ظهر فيها الزواج. (أنجلز، (ب س)، ص 60).

فهو –الزواج– تقدما تاريخيا كبيرا ولكنه في نفس الوقت ظهر مع ظهور الرق والملكية الخاصة. (أنجلز، (ب س)، ص 60).

كما أنه كان لـ (Pierre Bourdieu –بيير بورديو) دورا بارزا ومهما في تناوله لموضوع الزواج، فهو لم يخرج بعيدا من استعماله لمفاهيمه السوسيولوجية بشأن الزواج. حيث أنه درس ظاهرة العزوبية ونظام الزواج عند الفلاحين بمجتمعه الأصلي المعروف بـ: (Béarn –بيرن)، وأشار إلى أن الزواج في المجتمع البيرني ليس بالأمر اليسير. وأن استراتيجيات الزواج ذات أهمية قصوى، لأن الزواج هو فرصة للتبادل الاقتصادي الذي يسمح للأسر بالارتقاء أو الحفاظ على وضعها الاجتماعي المتمثل في النسب ووضعها الاقتصادي المتمثل في الميراث المادي. ويكون هذا الحفاظ عن طريق إعادة الإنتاج العائلي، بيولوجيا وثقافيا واجتماعيا. وتتم هذه الاستراتيجيات الزوجية عن طريق عاملين:

أ– توريث الإرث بالكامل إلى الابن الأكبر حين زواجه، ويمنح لبقية الأبناء مهرا يحسب وفقا لتركة الأسرة. في مجتمع يتسم بـ "ندرة السيولة". (Bourdieu, 2002, p : 27)

ب– التمييز بين الزواج من القاعدة إلى القمة والزواج من الأعلى إلى الأسفل. وتتم معظم التبادلات بين العائلات التي يكون وضعها في التسلسل الهرمي الاجتماعي متشابها نسبيا. ويُجبر الوريث على الزواج من الأعلى إلى الأسفل، ولا يمكنه الزواج من امرأة ذات مكانة عليا خوفا من فقدان سلطته أو عدم قدرته على تسديد المهر إذا اضطر إلى ذلك. وفي المقابل لا يمكنه الزواج من امرأة ذات مكانة دنيا كونها لن تجلب للزواج أي مكانة اقتصادية. (Bourdieu, 2002, p : 40)

ولقد أشار (Bourdieu) في هذا الصدد كذلك، إلى أن هذه الاستراتيجيات الزوجية تستجيب عن طريق "الهابيتوس" لضرورة تعظيم الأرباح الاقتصادية والرمزية التي يمثلها هذا النوع الخاص من المعاملات إلى إعادة إنتاج نظام اجتماعي. كما أنها –استراتيجيات الزواج– تكون أحيانا أداة تقييد للأفراد في مواجهة الاحتمالات الممكنة للحراك الاجتماعي وللمجموعات التي تنغلق على نفسها بهدف إعادة الإنتاج الذي لا يمكن تحقيقه في بعض الأحيان.

ولقد أولى (Jean- Claude Kaufman –جون كلود غوفمان)، اهتماما كبيرا بموضوع الزواج، فلقد ألف العديد من الكتب حول توقعات الأفراد فيما يتعلق بحياتهم الزوجية، في عدة كتب له حول سوسيولوجية الزواج والحب والأسرة والمرأة والعائلة، على غرار "sociologie du couple" و"Mariage, petites histoires du grand jour de 1940 à aujourd'hui" و "la femme seule et le prince charmant"، و "L' amour qu' elle n'attendait plus" وكذا كتابه المنشور مؤخرا بعنوان " pas envie ce soir"، إضافة إلى عدة مقالات أخرى بنفس الموضوع مثل:

"le couple en mutation" و"la Trame conjugale. Analyse du couple par son linge" وغيرها.. من الدراسات السوسيولوجية المهتمة بموضوع الزواج. حيث أنه يخلص في آراء مفادها أن الزواج ليس مسألة سهلة. كونها لا تخص الزوجين فقط، بل أن الزواج مرتبط بين عائلتين أو مجموعتين مختلفتين. كما أن الزواج والدين يعتبران مؤسستين من مؤسسات الرابط الاجتماعي في العديد من المجتمعات.(Kaufman,1999, p: 13)

ويضيف (Kaufman) أنه في العصور الوسطى، كان يتم التزاوج لغرض الإنجاب فقط. أي أنه على الغالب يتسم بالمصلحة. أما في سنوات الستينيات أصبح الزواج يتم عن طريق الحب بين الزوجين وتشكيل أسرة قائمة على روابط الحب والزواج بدون مصلحة. (Kaufman,1999, p: 81) كما أن للمظهر الخارجي أهمية كبيرة في الزواج بالنسبة إلى الطرفين. ولقد أشار (Kaufman) كذلك في كتابه "sociologie du couple" إلى أن الزواج قد طرأت عليه تغيرات كثيرة في بنياته الاجتماعية والثقافية المختلفة، حيث أن الاختيار الزواجي في الماضي كان يتم عن طريق العائلة. أما حاليا فهو يتم عن طريق التجانس "Homogamie"، أي أنه

اختيار حر وغير مقيد نابع من حسابات مدروسة سابقا. وتتمثل حسابات الرجل في مهنته ومكانته الاقتصادية، في حين أن حسابات المرأة تقتصر على قيمة الجمال والكفاءة في إقامة العلاقة. بحيث أن العلاقة هنا لا تبحث عن التشابه بقدر ما تبحث عن التكامل.

(Kaufman, 2010, p: 11)

ويعد (Anthony Giddens –أنتوني غيدنز) كذلك من بين السوسيولوجيين المحدثين الذين أشاروا وتناولوا موضوع الزواج من الناحية السوسيولوجية. فلقد بدأ اهتمامه السوسيولوجي بالظاهرة في القرن الحادي والعشرين. جراء الثورة الجنسية التي انتشرت في المجتمعات الغربية الحديثة. في الوقت الذي كانت تنتهي فيه نصف العلاقات الزواجية بالطلاق.

فكان كتابه المعنون بـ:

(La Transformation de l'intimité. Sexualité, amour et érotisme dans les sociétés modernes).

مقدما يحدد فيه (Giddens) التغيرات الرئيسية في مجال العلاقة الزواجية كنموذج لمجال خاص. وتدخل قيم الديمقراطية في مجال العلاقات الخصوصية الهامة، أين يصبح الفرد فيها مركزا مهما ومصدرا للاهتمام الزواجي، ومدى تأثير هذه القيم الديمقراطية على الاستثمار الشخصي من خلال المساواة بين الشريكين والبناء وجها لوجه للهويات الفردية. وعليه أحدث (Giddens) في هذا الصدد مصطلح (العلاقة النقية « la relation pure ») والتي يعني بها (Giddens) العلاقة المثالية التي تعتمد على الأفراد الذين يتكونون منها. والتي تحترم شخصيتهم الفردية. مشيرا إلى قيمة الحب في هذه العلاقة بأنه ليس فعلا يندمج فيه الأفراد بقدر ما هو علاقة اجتماعية تقاربية تنتج السعادة والوفاء. وتستمر العلاقة النقية —حسبه– طالما رأى الشريكان أنها تمنح الرضا الكافي لكل منهما، بحيث تكون الرغبة في استمرارها متبادلة. فهي عكس العلاقة الزوجية التقليدية القائمة على أفكار الإخلاص والمودة والأمومة.

(Giddens, 2006, p: 67).

وكخلاصة لما ذكر، يتضح لنا إن تحليلات هؤلاء السوسيولوجيين لظاهرة الزواج كانت مرتبطة بوقائع اجتماعية حسب وجهة كل عالم وحسب الفترة الزمنية وطبيعة نظام مجتمعاتهم. فـ (Durkheim) ربط الزواج بالأخلاق والضمير الجمعي. واعتبره وسيلة لتقوية للرابط الاجتماعي وتقليل من نسب الانتحار في المجتمع. أما (August Comte)، فربطه بالدوافع البيولوجية الاجتماعية للفرد. في حين أن كل من (Karl Marx, Frederick Engels) يريان أن الزواج مرتبط بالطبقات الاجتماعية للأفراد. أما (Bourdieu) فربطه بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادي للأفراد عن طريق إعادة الإنتاج . و(Kaufman) بالحب والتجانس. و(Giddens) بالعلاقة النقية المبنية على الحب واحترام الحريات.

2- التغيرات والتحولات السوسيو-ثقافية التي طرأت على الزواج في المجتمع الجزائري:

ترتبط الظواهر الاجتماعية بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، فنحن لا نستطيع كما قال "Marcel Mauss" أن نفهم ظاهرة في المجتمع فهما حقيقيا إلا بربطها بالظروف العامة التي يعيش فيها المجتمع.

ولقد عرف نظام الزواج في المجتمع الجزائري تغيرات وتحولات عدة، ارتبطت غالبا بتغيرات منظومة القيم والمفاهيم التي مست المجتمع الجزائري بصفة عامة والعائلة خاصة. فكانت أبرز مراحل هذا التغير ما يلي:

أ. **المرحلة الأولى: الزواج وحتمية البناء الاجتماعي القائم في المجتمع الجزائري.**

كان الزواج في المجتمع الجزائري قديما يتم وفقا لحتمية البناء الاجتماعي القائم الذي تحكمه **سلطه المجال الطبقي وإعادة إنتاج المكانات الاجتماعية**. حيث يمنع أفراد الطبقات العليا والغنية الاختلاط أو الزواج من الأفراد الذين ينتمون إلى الطبقات الدنيا من المجتمع. لأنهم يعتبرون دون المستوى المطلوب. كما أنه يعتبر الزواج من الطبقات الأعلى عادة بمقتضاها تمنع المرأة التي تنتمي إلى طبقة اجتماعية معينة من الزواج من أحد الأفراد طبقة أدنى، لكن يباح لها الزواج من أفراد طبقتها الاجتماعية أو طبقة أعلى. (دعبس، 1996، ص: 20). والزواج من داخل المكانة الاجتماعية المماثلة يعد **معيارا اجتماعيا** مفضلا، خاصة من وجهة نظر الآباء ذوي المكانة العالية عندما يشرعون في تزويج أبناءهم. وسواء تم هذا الاختيار في الزواج عن طريق الأفراد أنفسهم أو عن طريق آبائهم أو آخرين، فإن كونه من داخل المكانة الاجتماعية يعتبر شرطا أساسيا للمحافظة على نسب العائلة ومكانتها، أما الأفراد الذين ينتمون إلى مكانات منخفضة فإنهم يكسبون كثيرا عندما يتزوجون من أشخاص ينتمون إلى مستويات طبقية أعلى من مستوياتهم. فكان كبار التجار في ذلك الوقت من "الميزابيين" والمسلمين الذين أتوا من اسبانيا، والذين يتمتعون بخبرة عريقة في التجارة وكثرة المال والثراء، يزوجون بناتهم إلى الأتراك لكي يحافظوا على مصالحهم ومكانتهم الاجتماعية. فنظام الزواج في المجتمع الجزائري أثناء الحكم العثماني وقبل دخول الاستعمار الفرنسي كان مرتبط **بالبناء الاجتماعي والطبقي للأفراد**. حيث أن هناك نسبة كبيرة من النساء الجزائريات تزوجن من أفراد الجيش الانكشاري رؤساء البحر أثناء التواجد العثماني في الجزائر. فأنتجوا طبقة عرفت بطبقة "الكراغلة والأندلسيون والأشراف". (سعيدوني، 1985، ص: 43)

ب. **المرحلة الثانية: الزواج من أجل التضامن الاجتماعي والعائلي.**

خلال هذه المرحلة، أي في فترة الاستعمار الفرنسي. تغير نظام وشكل الزواج في الجزائر بتغير الأوضاع والنظام الطبقي للمجتمعات. فلقد عُرِفت العائلة الجزائرية قديما، على أنها العائلة الكبيرة أو الموسعة (famille élargie)، والتي يعيش فيها عدد كبير من الأفراد والأزواج. وتتمتع هذه العائلة بإستراتيجيات خاصة ومتعددة تتجسد في المستوى المحلي وواقع **السلطة**. كأن يتزوج الأخ من زوجة أخيه المتوفى، وذلك من أجل **التضامن الاجتماعي** والحفاظ على **وحدة العائلة** وأملاكها حتى لا تذهب إلى عائلات وقبائل أخرى، ومن جهة أخرى من أجل رعاية أبناء أخيه. (مرموقة، 2015، ص: 89)، فبالرغم من الاختلاط المجتمعي والأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة إلا أن الزواج بقي كآلية من آليات الإنتاج الاجتماعي العضوي يتم عن طريق **تزاوج الأقارب**، خاصة بين **العائلات الشريفة** التي تثمن الارتباط من الأقارب. فلقد أشار (Bourdieu) في هذا الصدد أثناء دراساته عن المجتمع الجزائري خلال تواجد الاستعمار الفرنسي، في كتابه: (Sociologie de l'Algérie)، أن العائلة **الأبوية الممتدة** هي الشكل السائد للأسرة في المجتمع

التقليدي الجزائري، والتي كانت تمثل **وحدة إنتاج واستهلاك معا**، ويتشارك أفرادها المنحدرون من نسل جد واحد والذين يمثلون مجموعة من الأسر الزواجية في نفس المسكن أو نفس الإقامة. (Bourdieu, 2006, p :14)

كما أن علاقات القرابة هي نتيجة استراتجيات تستهدف تلبية **مصالح اقتصادية رمزية**، حيث أكد أن: "الزواج الداخلي يوحد العائلة الأبوية ويقوي مركز الأب" (مرموقة، 2015، ص: 90). أي أن الأبناء كانوا يخضعون **لحتمية الجماعة العائلية** وأوامرها بشأن موضوع الزواج، من أجل المحافظة على الاستقرار والأملاك الاجتماعية والمادية للعائلة، باعتبار أن الزواج ما هو إلا **إعادة إنتاج بيولوجي وثقافي واجتماعي**، وبالتالي العمل على نقل التراث عبر الأجيال المختلفة. (Segalen,1981, p:114)

ت. المرحلة الثالثة: الزواج خارج الرابط الاجتماعي.

لقد ظل المجتمع الجزائري في بداية الاستعمار محافظا على نظام الزواج التقليدي، حيث كانت العائلات هي من تتدخل في مشاريع زواج أبنائها. إلا أنه بعد اندلا ع الثورة التحريرية تغير نظام الزواج السائد، نتيجة تغير الأوضاع والقيم الاجتماعية بالمجتمع الجزائري. فالثورة كانت قد أجبرت المرأة على الخروج للعمل ومشاركة الرجل في حمل السلاح وممارستها لمهنة التمريض وإعداد الأكل للمجاهدين في صفوف جيش التحرير، مما أكسبها مكانة اجتماعية مرموقة كفلتها درجة من الحرية والوعي الاجتماعي أكثر، وهذا ما سمح لها باتخاذ بعض القرارات المصيرية بنفسها والتي من بينها مسألة الزواج.

فالمجتمع الجزائري عقب السنوات الأخيرة للثورة التحريرية بدأت تبدوا عليه ملامح تلاشي وتغير في القيم والأدوار والسلطة نتيجة تأثره بالتغيرات والتحولات التي حدثت في ظرف قصير جدا. (Addi, 1999, p: 100). وهذا ما جعل مؤسسة الزواج تخرج عن حتمية الرابط الاجتماعي إلى علاقات **زواجية أباعدية** تتم في الحي الذي يسكنه كلا الجنسين أو في أماكن الدراسة والعمل، كمجالات للتعرف خارج حدود العائلة التي لم تكن مستعدة لتبنيها. (Addi, 1999, p: 85) . أي أنه –الزواج– في هذه الفترة كان يتم غالبا خارج نطاق العائلة متجاوزا حدود الجماعة المحلية (la communauté) التي ينتمون إليها بقوة الرابط الاجتماعي (le lien social) الذي يسعى هو الآخر إلى الحفاظ على جتمعة النموذج الثقافي لمجالاتهم الاجتماعية عن طريق إعادة إنتاج الأفعال والتفاعلات للعلاقات الاجتماعية، من خلال الفعل التواصلي، أو ما أسماه (j. Habermas –يورغن هابرماس) بـ: (Agir communicationnel)، والذي أشار إليه (Habermas) على أنه: (من خلاله يبحث فيه الفاعلون عن توافق لوضعيتهم، وذلك بغرض الانسجام مع مخططاتهم ونشاطهم وأفعالهم). (Habermas, 1987, p : 102).

ث. المرحلة الرابعة: الزواج والاختيار الاستراتيجي:

إن تنامي الديناميكيات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري الحالي، أدت إلى التغير في منظومة القيم وطبيعة النماذج الثقافية للعائلات والأسر الجزائرية، مما جعلت الفرد الجزائري يستقل عن سلطة البنية الاجتماعية بموارده وقواعده الخاصة، باحثا لنفسه عن نسق قيم خاص به. (fanon, 1972, p: 86). فتغيرت أفعاله وتفاعلاته بتغير تمثلاته لعدة ممارسات ووقائع اجتماعية يحملها. كتمثلاته للزواج ومشروعه الأسري ذو النموذج الثقافي الخاص به والملائم لمتطلبات ديناميكية وضعه الاجتماعي. وهذا ما جعل نظام الزواج في المجتمع الجزائري اليوم، يخرج من حتمية وسلطة العائلة كمجال اجتماعي أصلي إلى حتمية العلاقة التفاعلية و**الاختيار الاستراتيجي** الممنهج وفق المسؤولية **الفردانية** "Individuation". وهذا نتيجة موجة الحراك الاجتماعي التي شهدها المجتمع الجزائري مؤخرا وعلى نطاق واسع، مما جعل غالبية أفراده يكتسبون **سلطة رمزية ومادية** مستقلة كموارد للاختراق عن مجالاتهم الاجتماعية الأصلية –العائلة– وإنتاج مجالات اجتماعية خاصة، لتحقيق أهدافهم والوصول إلى الطبقة التي كانوا يرغبون في الوصول إليها عن طريق حراكهم الاجتماعي والاستقرار بمجالاتهم الاجتماعية الجديدة الملائمة لحراكهم والانسجام معها بما يخدم حراكهم. وهذا ما أشار إليه (Boudon Raymond– ريمون بودون) في كتابه: (La logique du social) "أن الفرد العقلاني الذي يتصرف بعقله، وأهدافه المعلنة والغير معلنة في مخططاته، يعد **فاعلا اجتماعيا** ريثما أثر مجاله الاجتماعي –المحيط– على أفعاله التي تتغير بتغير إطار الفعل.

ويقر (Boudon) بأن الاختيارات ليست دائما يحكمها المجال الاجتماعي، بل أن الفرد الفاعل الاجتماعي دائما يحافظ على هامش مناورة يسمح له باستغلال اختياراته الذاتية". (Boudon , 1997, p: 117)

فالفرادانية الممنهجة (L'individualisme Méthodologique) حسب (Boudon) تهدف كتوجه إلى بناء واقع اجتماعي وثقافي، يستطيع فيه الأفراد **اختيار** نمط حياتهم وأفعالهم وتفاعلاتهم ومعتقداتهم، واقع يضمن للفرد خاصية الاستقلالية والتميز. أي التركيز على كل ما هو خاص وشخصي ومتفرد. وهذا يعني أن الأفراد يمتلكون وحدتهم الداخلية واستقلاليتهم في الوسط الذي ينتمون إليه، فهم يتميزون عن الجماعة والآخرين **باختياراتهم الإستراتيجية** لمشاريعهم طرق تفكيرهم وعملهم ونظرتهم للوجود. وهي حالة من حالات **شخصنة** الفرد وإعطائه قواعد وموارد يتفرد بها، ويكتسب عبرها هويته الخاصة. (Taylor, 1999, p: 15)

ولقد أكد (Michel Crozier –ميشيل كروزيه) فيما حول المعنى ذاته، مشيرا إلى أن أي إستراتيجية تنظيمية مهما كانت، فهي تضم هامشا من الشك يستغله الفاعل الاستراتيجي كأرضية لبناء نوع من العنف بحكم التحكم في هذا الهامش من الشك كنفوذ وسلطة على الآخرين بما يخدم مصالحه ويجعل الأفراد الآخرين تابعين له في قراراته. فبقدر مؤهلاته وإمكانياته بقدر ما يتحكم في المنطقة التي تمكنه من اكتساب قوة غير معلنة كمصدر مهم للسلطة. وبالتالي تحقيق الاستقلالية رهين ببناء مناطق ظل لا يستطيع الآخرين الوصول إليها.

– الخلاصة:

انطلاقا مما سبق نستنتج أن نظام الزواج بالمجتمع الجزائري، كان قديما يتم بين الطبقات الاجتماعية المتشابهة، ثم تغير نتيجة تغير الوضع الاجتماعي للمجتمع الجزائري، خاصة أثناء الفترة الاستعمارية التي قوت الرابط الاجتماعي به من خلال التضامن والتزاوج القرابي، إلا أنه سرعان ما تجاوز بشكل واسع حدود صلة القرابة La parenté، وانتقل من نمط حتمية الرابط الاجتماعي إلى نمط الفردانية Individuation وحب الاستقلال.

فالزواج في الجزائر لم يعد إنتاج بيولوجي واقتصادي فحسب. بل أصبح إنتاج اجتماعي ثقافي، يتمثل في مشروع أسري يتم بعملية فردية في ذاتها، ومجتمعية في نتائجها. وهذا المشروع غالبا ما يكون لفردين يحملون نفس النموذج الثقافي الذي يريدان من خلاله تحقيق هذا الإنتاج الأسري التفاعلي الجديد. ذلك أن التغيرات والتحولات التي شهدها المجتمع الجزائري مؤخرا أنتجت تمثلات متغيرة بتغير المجالات التي يتفاعل فيها الأفراد. وأن تغير المكانة الاجتماعية أدى إلى تغير التمثل الاجتماعي أمام حتمية التغير.

– الإحالات والمراجع :

1- فردريك أنجلز، (ب س)، **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة**، تر: أحمد عز العرب، (ب د).

2- محمد يسري إبراهيم دعبس، (1996)، **الأسرة في التراث الديني والاجتماعي**، دار المعارف، مصر.

3- مصطفى الخشاب، (1996)، **علم الاجتماع العائلي**، الدار القومية للنشر والطباعة،.

4- منصور مرموقة، (2015)، **القبيلة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي –مقاربة أنثروبولوجية–** ط:1، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر.

5- ناصر الدين سعيدوني، (1985)، **النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني**، ط:02، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

6- Bourdieu Pierre, (1980), **Le sens pratique**, édition de Minuit, paris.

7- Charles Taylor, (1999), **Les malaises de la modernité**, C .E .R.F, Paris.

8- Frantz fanon, (1972), **Sociologie d'une révolution**, L an V de la révolution Algérienne, Ed Maspero, paris.

9- Giddens Anthony, (2006), **La Transformation de l'intimité. Sexualité, amour et érotisme dans les sociétés modernes,** Hachette littératures, paris, France.

10- Jean- Claude Kaufmann**,** (1999), **la femme seule et le prince charmant**, Nathan, paris.

11- Jean- Claude Kaufmann, (2010), **sociologie du couple**, puf collocation que sais- je ?, 5éme édition, presses universitaires de France, paris.

12- Jürgen Habermas, (1987), **Théorie de L'agir communicationnel, Rationalité de l'agir et rationalisation de la société,** Tome1, paris.

13- Lahouari Addi, (1999), **les mutations de la société algérienne, famille et lien sociale dans l Algérie contemporaine**, édition la découverte, paris.

14- Martine Segalen, (1981), **Sociologie de la famille**, Ed Armand colin, Paris.

15- Pierre Bourdieu, (2002), **le bal des célibataires, crise de la société paysanne en Béarn,** éditions du seuil.

16- Pierre Bourdieu**,** (2006), **Sociologie de L'Algérie,** 8 er éd, presses universitaires de France, paris.

17- Pierre Bourdieu**, (**2016), **Sociologie de L'Algérie,** 1er éd, Taftaf document, France.

18- Raymond Boudon, (1997), **La logique du social, introduction à l'analyse sociologique**, Hachette / Pluriel, Paris.

19- Une édition électronique réalisée à partir d'un texte d'Émile Durkheim (1909), ***«Débat sur le mariage et le divorce»***، Extrait des Libres entretiens, de l'Union pour la vérité, 1909, 5e série, pp. 258 à 293. Reproduit in Émile Durkheim, Textes. 2. Religion, morale, anomie, pp. 206 à 215. Paris: Editions de Minuit, 1975, 508 pp. Collection: Le sens commun.

20- Une édition électronique réalisée à partir d'un texte d'Émile Durkheim (1892), «**La famille conjugale**» Texte extrait de la Revue philosophique, 90, 1921, pp. 2 à 14. Publication posthume d'un cours professé en 1892. Texte reproduit in Émile Durkheim, Textes. 3. **Fonctions sociales et institutions** (pp. 35 à 49). Paris: Les Éditions de Minuit, 1975, 570 pages. Collection: Le sens commun.